الفصل السابع

قابلية الطرح للتطبيق

obeikandl.com

ليس كافياً أن تصدر الطروحات عن المفكرين الباحثين المسلمين عبر مناهج أصولية علمية ، ولكن ينبغي أن توضع هذه الطروحات على أرض الواقع ، وتتحول إلى أنظمة وتنظيمات وإجراءات وسلوكات ، وتختلط بالتفاعلات الاجتماعية وتغدو جزءاً لا يتجزأ منها ، بل وتحقق الأهداف التي صيغت من أجلها وهي : تعديل الأفكار والسلوكات وإنشاء الأفكار والسلوكات ، وذلك تمهيداً للغاية النهائية وهي إقامة المجتمع المسلم الصحيح الذي يعلي من شأن الإسلام وعقيدته .

إن أهم ما ينبغي أن يتوفر في الطروحات الإسلامية إذن هو قابليتها للتطبيق بالشكل الذي أشرنا إليه أعلاه ، والقابلية للتطبيق هي أسطع البراهين وأقوى الدلالات على سلامة المنهج وصوابه من ناحية ، وعلى واقعية الطرح وموضوعيته من ناحية أخرى ، وعلى القدرة الفائقة للمرجعيات الإسلامية على إمداد المفكر الباحث بالأصول والقواعد التي مكنته من صياغة الطرح وتشكيله بما يتواءم مع المتغيرات والمستجدات والأبعاد المتغيرة في الإنسان من ناحية أخيرة .

إن أول ما يصادف المفكر الباحث وهو بصدد الحديث عن قابلية الطرح الإسلامي للتطبيق هو تكييف ووصف الطروحات التي يقدرّ له التوصل إليها وصياغتها ، ويلاحظ أن تلك الطروحات تبدو في شكلين أو نموذجين هما : أنها بمثابة مخرجات ثقافية تعبر عن المنطق الإسلامي في مواجهة عناصر الوجود ومفردات وتفاعلات المجتمع الإنساني ، أي بعبارة أكثر دقة أنها نماذج من الثقافة الإسلامية تخرج في شكل منظومات معرفية فكرية ، ثم أنها بمثابة آراء ورؤى تتابع المتغيرات والمستجدات فتعبر عن رؤية الإسلام إزاءها .

وإذا كان ما تقدم هو شأن الطروحات الإسلامية التي يخرجها منهج الطرح الإسلامي وماهيتها ، فماذا تعني قابلية تلك الطروحات للتطبيق ؟ إن القابلية للتطبيق تعني واقعية

الطروحات وتلاقيها أو عناقها مع الواقع . وهذا يعني أنها ليست غريبة عليه ، وأنها قد تآلفت معه فور خروجها إليه ، وأصبحت جزءاً منه ، كذلك فالقابلية للتطبيق تعني الموضوعية التي يتسم بها الطرح وتعامله مع المتغيرات والمستجدات بصدق وشفافية ، والبعد عن الأساليب الإنشائية والأخرى التي تنحو منحى نظرياً بحتاً ، وأيضاً تعني القابلية للتطبيق التواؤم والتلاؤم مع البيئة الإسلامية المهيأة والمعدة لاستقبال تلك الطروحات ، وأخيراً تعني القابلية للتطبيق أن الطروحات تتسم بالنزعة الإنسانية العامة ، وهي سمة المرجعيات الإسلامية التي استنبطت منها وانتصبت على أصولها وقواعدها ، وهذا لا يتعارض مع خصوصية بعض التجارب .

وماذا عن التطبيق عينه ؟ إذا توافرت لدى البيئة والطرح القابلية للتطبيق كان التطبيق بمثابة حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وتطبيق الطروحات الإسلامية حسب تكييفها وماهيتها التي سبق أن أشرنا إليها تعني التحول إلى أنظمة وإلى تنظيمات وإلى سلوكات وإلى إجراءات .

ويرتبط بالتطبيق مباشرة هدف الطرح الإسلامي ، إذ لا يكفي التطبيق بالشكل والكيفية التي أوضحنا أعلاه ، وهي أن يتحول الطرح إلى أنظمة وتنظيمات وسلوكات وإجراءات ، ولكن لا بد أن يحقق الطرح هدفه المتمثل في تقويم الفكرة والسلوك وكذا إنشاء الفكرة والسلوك ، ومعنى ذلك أن تحقق الأهداف هو شرط أساسي وضروري لاكتمال تطبيق الطروحات الإسلامية وجزء لا يتجزأ من منظومة منهج الطرح الإسلامي .

ولكن هل يمكن أن يستعصى الطرح على التطبيق ، ويرفض التعامل ويأبى التفاعل مع الواقع ؟ أو يرفض الواقع قبوله ، ويأبى التفاعل معه ؟ ما من شك في أن حدوث هذه التداعيات يمثل إحدى الإشكاليات الخطيرة والحساسة التي تصادف الطرح الإسلامي

الناتج عن تراكمات الفكر الإسلامي في الأزمنة والمجتمعات المختلفة ، وإذا حدث ذلك فكيف يمكن معالجة مثل هذه الحالات ؟ ثم لماذا يستعصى الطرح الإسلامي على التطبيق ؟! .

في هذا الفصل نتناول معايشة الطرح للواقع وتفاعله معه من خلال قابليته للتطبيق ، وذلك عبر المباحث الخمسة التالية :

المبحث الأول : نماذج وأشكال الطروحات الإسلامية .

المبحث الثاني : قابلية الطرح للتطبيق .

المبحث الثالث : نماذج وأشكال التطبيق .

المبحث الرابع : هدف الطروحات الإسلامية .

المبحث الخامس : إشكاليات تطبيق الطروحات الإسلامية .

obeikandl.com

المبحث الأول

نماذج وأشكال الطروحات الإسلامية

ما هو واقع الطروحات الإسلامية التي يفرزها فكر المفكرين الباحثين المسلمين ؟ هل لها نماذج وأشكال معينة ؟ وهل يمكن تكييفها في إطار الفكر والثقافة الإسلامية ؟ الواقع أن للطروحات الإسلامية نموذجين أو شكلين أساسيين ، يتمثل أولهما في المخرجات الثقافية التي تخرج على هيئة منظومات معرفية فكرية ، ويتمثل ثانيهما في الآراء والوجهات إزاء المتغيرات والمستجدات ، وتوضيح ذلك فيما يلي :

أولاً : الطروحات هي المخرجات الثقافية أو ما يعرف بالمنطق الثقافي أو الثقافة الإسلامية :

سبق لنا أن عرفنا الثقافة على أنها مزيج من المكتسبات والمعارف وخبرات الآخرين ومن المخزون الذاتي من الموروثات الثقافية والحضارية والعادات والتقاليد والأعراف والأخلاقيات والقيم والمبادئ ، يحدد النظرة الذاتية والرؤية الخاصة للكون والحياة والمجتمع ، ويعبر عن الرغبة في التعامل مع العناصر السابقة بطريقة معينة .

وعليه فالثقافة مزيج من عناصر أو مكونات : أولها مكتسبات ومعارف وخبرات الآخرين ، وهذا هو الجانب أو العنصر أو المكون المكتسب في الثقافة ، وهو يكتسب بوسائل وطرق عديدة من الكون والطبيعة والآخرين ، وثانيها المخزون الذاتي والرصيد المملوك من الموروثات التاريخية والعادات والتقاليد والأعراف والأخلاقيات والقيم والمبادئ والعقائد .

ثم إن ذلك المزيج عندما يتكون ويتبلور يحمل خصائص مميزة تميزه عن المكونين السابقين وتضفي عليه سمات خاصة ، ويحدد هذا المزيج الفكري النظرة الذاتية والرؤية الخاصة للكون بعناصره وللحياة وللمجتمع الإنساني .

كذلك فالمزيج الفكري يعبر عن الرغبة في التعامل مع عناصر الوجود والمجتمع الإنساني بطريقة معينة ، وتتوقف الثقافة عند هذا الحد ، أي عند النظرة والرؤية والرغبة في التعامل بطريقة خاصة ، فهذه هي حدود الثقافة ، إطارها ونطاقها الفكر فقط ، ولو تقدمت خطوة أخري وتحولت إلى سلوك للتعامل مع عناصر الوجود والمجتمع لأصبحت حضارة ، ومن ثم يقال بأن الثقافة فكر والحضارة سلوك مترتب على ذلك الفكر .

والطروحات هي المخرجات المنهجية للفكر الإسلامي التي صاغها منتصبة ومرتكنة على الأصول والقواعد المستقاة من المرجعيات الإسلامية التي تشكل مصادر للمناهج الأصولية ، وتلك الطروحات تعبر عن منطق الإسلام أي رؤيته الذاتية للكون وللحياة وللمجتمع ، وتلك الرؤية تحدد بالتالي الطريقة الخاصة التي يرغب الإسلام في التعامل مع تلك العناصر على أساسها .

وهذه الطروحات هي مزيج من معارف وخبرات الآخرين المتعلقة بالظواهر الطبيعية والاجتماعية التي سبق وتحدثنا عنها تحت مسمى المتغيرات والمستجدات والأبعاد المتغيرة في الإنسان ، ومن المخزون الذاتي والرصيد المملوك من المرجعيات الإسلامية وكل ما تقدم يفيد بأن الطروحات هي مخرجات الثقافة الإسلامية أو نماذجها وأشكالها .

وهذه المخرجات التي تتشكل في نماذج وصور نستقبلها على هيئة أدبيات ومؤلفات تشرح وتبين رؤية الإسلام لظواهر الكون وكذا للظواهر الاجتماعية ، كالظاهرة السياسية والظاهرة

الاقتصادية وغيرها من الظواهر ، وتبدو هذه الأدبيات في شكل منظومات مترابطة ومتسقة تحدد رغبة الإسلام في التعامل مع تلك الظواهر بوسائل وطرق محددة .

ويعد هذا العمل الموسوعي وما ينتج عنه من أدبيات في مجالات مختلفة وظواهر متباينة من ظواهر الكون والمجتمع أشكالاً ونماذج للثقافة الإسلامية ، لأنها تبلورت وتكونت بنفس الطريقة التي أوضحناها في مواضع سابقة .

ثانياً : الآراء إزاء المتغيرات والمستجدات :

ما سبق كان بمثابة مخرجات ثقافية إسلامية في شكل منظومات متسقة ، وثمة نموذج أخر في شكل آراء ترد في مواجهة المتغيرات والمستجدات ، وهذه الآراء كذلك هي مثابة مخرجات ثقافية ، ولكنها لا تأخذ شكل المنظومات المتسقة ، بل تمثل متابعة متجددة تبرز وجهة نظر الإسلام تجاه المتغيرات والمستجدات في الكون والحياة والمجتمع ، وتقترب من صيغة الفتاوى والإرشادات ، ولها قيمتها البالغة في إطلاع المسلمين خاصتهم وعامتهم على ما يتغير أو يستجد من أشياء وأمور لها تأثيرها على أفكارهم وسلوكاتهم ، أو على مفردات وأصول عقيدتهم .

المبحث الثاني

قابلية الطرح للتطبيق

في المبحث السابق توصلنا إلى خلاصة مؤداها أن الطروحات التي تترتب على المنهج موضع الدراسة والتحليل هي أشكال ونماذج من الثقافة الإسلامية ، فهي إذاً بمثابة رؤى ورغبة في التعامل بطريقة خاصة مع عناصر الوجود في الكون والحياة والمجتمع ، وهي تتوقف عند هذا الحد لأنها ثقافة ، وفي هذا المبحث ندرس كيفية تطوير هذه الرؤى والرغبة في التعامل مع عناصر الوجود من طور الفكر إلى طور السلوك والحركة لكي تتحول إلى حضارة ، وهذا ما يعرف بقابلية الطرح للتطبيق على أرض الواقع ، وهذه القابلية يمكن تلمسها واستشعارها في الطرح إذا اتسم بعدة سمات ، نتناول أهمها في ما يلي :

أولاً : واقعية الطرح :

واقعية الطرح تعني أن الطرح يتماس مع الواقع إلى درجة العناق ، ويتناول مفردات ذلك الواقع بدقة ويعالجها بحرص ، ولا يخوض في مسائل وشروحات وتفسيرات نظرية صرفة ، وإذا اتسم الطرح بهذه السمة فذلك يعني سلامته وسلامة المصادر التي ارتكن عليها ، وقدرته على تحقيق أهدافه .

وعندما تخلو الطروحات من هذه السمة تفقد كثيراً من صدقيتها وقدرتها على تحقيق أهدافها ، وهي تتسبب في وصف المرجعيات الإسلامية التي مثلت بالنسبة لها مصادر أساسية بالقصور في تزويد وإمداد المفكر الباحث بالأصول والقواعد التي يبني عليها طروحاته ، وكذا تتسبب في نعت المفكر الباحث هو الآخر بالقصور وعدم القدرة على المواءمة بين

المتغيرات والمستجدات من ناحية وبين مصادر الطرح من ناحية أخرى ، وهذا يعني أنه لم يفهم أو يستوعب أحد القرينين أو كليهما معاً .

ثانياً : موضوعية الطرح :

يقصد بموضوعية الطرح أن يعتمد على تحليلات علمية وطرق ووسائل منهجية في مضاهاة الأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات الإسلامية بالمتغيرات والمستجدات والظواهر الكونية والاجتماعية موضع اهتمام الطرح ، وهنا لابد من أن تتوفر في المفكر الباحث السمة العلمية والقدرة على التحليل المنهجي ، والبعد عن الأكليشيهات التي لا تحمل مفاداً ولا معني .

ثالثاً : التواؤم مع البيئة الإسلامية :

تزداد قابلية الطرح للتطبيق إذا جاء متوائماً مع البيئة الإسلامية بالوصف الذي سبق وأوضحناه من قبل ، وهذا التواؤم لا بد أن يراعيه المفكر الباحث من البداية ويأخذه في حسبانه ، وبصفة خاصة في ظل التطورات السريعة والتداعيات المتلاحقة التي يمر بها المجتمع الإنساني عموماً والإسلامي خصوصاً تحت مسميات شتى .

رابعاً : إنسانية الفكر وخصوصية التجارب :

لابد للطرح الإسلامي أن يتسم بالإنسانية أي بالصلاحية والجدارة للمجتمع الإنساني عموماً ، وذلك لأن ذلك الطرح يحتوي على القيم الإنسانية والمبادئ والمثل العامة ، كما لابد في ذات الوقت أن يراعي بعض التباينات والخصوصيات التي قد تتسم بها بعض المجتمعات الإسلامية ، ولعل ذلك من أهم سمات الطرح الإسلامي .

إن الطرح الإسلامي عندما يحمل السمات والخصائص التي أوضحناها في هذا المبحث ، فهذا يعني أن لدى ذلك الطرح قابلية كاملة للتطبيق ، أي القابلية لأن يتحول إلى نماذج وتنظيمات وسلوكات وإجراءات تحقق الأهداف التي يتوخاها ذلك الطرح .

obeikandl.com

المبحث الثالث

نماذج وأشكال التطبيق

تطبيق الطرح الإسلامي يعني تحول ذلك الطرح أو انتقاله إلى أنظمة وتنظيمات وسلوكات وإجراءات تتفاعل جميعها مع الواقع الاجتماعي وتتغلغل في نسيجه وتحقق الأهداف التي جاءت من أجلها ، وهي تعديل الأفكار والسلوكات وإنشاء الأفكار والسلوكات ويمكننا توضيح نماذج وأشكال تطبيق الطرح الإسلامي فيما يلي :

أولاً : النموذج الأول : تحول الطرح إلى نظام :

أول نماذج وأشكال تطبيق الطرح الإسلامي يتمثل في تحويل الطرح إلى نظام ، والنظام يعد أهم النماذج والأشكال التي تعبر عن الطروحات الإسلامية ، وهو كذلك أعظمها وأكثرها تعقيداً واتساعاً وشمولاً ، فهو أساس الدولة الإسلامية وركيزتها الرئيسية ، ولذلك فإن إنشاء أو إقامة هذا النموذج يرتبط بإقامة كيان الدولة الإسلامية أو إعادة تشكيل هذا الكيان .

وتحويل الطرح إلى نظام يحتاج إلى ترتيبات خاصة تتمثل في خصوصية صياغة الطرح من ناحية ، وترتيب البيئة وتهيئتها من ناحية أخرى ، ثم تشكيل النظام وإعداد عناصره البشرية التي يوكل إليها مهمة تفعيله وتشغيله من ناحية ثالثة ، ثم تجريب النظام واختباره لتقويمه والتوصل إلى طريقته المثلى .

ثانياً : النموذج الثاني : تحول الطرح إلى تنظيم :

النموذج الثاني من نماذج تطبيق الطروحات الإسلامية يتمثل في تحويل الطروحات إلى تنظيمات ، والتنظيمات هي بمثابة ميكانيزمات أو آليات تعمل داخل النظام وتتولى مهمة تشغيله ، وقد توجد التنظيمات وتعمل بعيدة عن النظام ولا ترتبط به .

والتنظيم الذي يتم تشكيله داخل النظام عادة ما تتم صياغته داخل النظام عند صياغة الطرح ، مثل الشكل التنظيمي لقيمة الشورى الذي يصاغ ضمن المنهاج الإسلامي ، أو تنظيم المصرف الإسلامي الذي يصاغ ضمن النظام الاقتصادي ، وتنظيم القاعدة التقنية الإسلامية الذي يصاغ ضمن النظام التعليمي ونظام البحث العلمي الإسلامي وهكذا .

وقد يتشكل التنظيم مستقلاً عن النظام ، ويصاغ له طرح خاص به مثل تنظيم العمل الدبلوماسي والقنصلي الإسلامي ، وغير ذلك من التنظيمات التي تنشأ مستقلة عن أي نظام.

ثالثاً : تحول الطرح إلى سلوك :

النموذج أو الشكل الثالث من أشكال ونماذج تطبيق الطرح الإسلامي تتمثل في تحويل الطرح إلى سلوك ، والسلوك يرتبط أساساً ودوماً بحركة الإنسان وتفاعلاته داخل المجتمع ، وسلوك الإنسان يتم على مستويات ثلاث : المستوى الأول ، السلوك داخل النظام ، وهو سلوك الإنسان كفاعل ومفعّل للنظام ، وهو سلوك محدد ومعين في إجراءات ، المستوى الثاني ، السلوك داخل التنظيم ، وهو يشبه السلوك السابق في كونه فاعلاً ومفعلاً للتنظيم من خلال إجراءات بعينها ، المستوى الثالث والأخير وهو السلوك المستقل العام داخل

المجتمع ، وهو يبدو كذلك ولكنه في حقيقة الأمر يتبع النظام الاجتماعي ، ولكل مستوى من مستويات السلوك الثلاثة ضوابط وقواعد تضبطه وتسيره في مسارات محددة .

رابعاً : تحول الطرح إلى إجراء :

آخر نماذج وأشكال تطبيق الطرح الإسلامي يتمثل في تحويل الطرح إلى إجراء ، والإجراء هو الضابط لحركة الإنسان داخل النظام والتنظيم ، وطروحات الإجراءات تأتي في ثنايا طروحات النظام والتنظيم ونادراً ما تأتي منفصلة ، إلا أنها في دائرة الأحوال الشخصية قد تأتي مستقلة خاصة بتلك الأحوال .

مما تقدم نخلص إلى أن الطرح الإسلامي ليس طرحاً تنظيرياً يميل إلى التأصيل والفكر فقط ، ولكنه يخرج تماماً عن هذه الدائرة لينتقل إلى دائرة أخرى أكثر تماساً وتفاعلاً مع الواقع الاجتماعي بدينامياته وتفاعلاته ، وهذا يمنح منهج الطرح الإسلامي ومخرجاته من الطروحات بكافة أشكالها ونماذجها سمات سبق لنا تناولها في جزئيات من هذا المؤلف ، ويُثبت في ذات الوقت قابليته للتعامل مع الواقع في كل زمان ومكان من خلال واقعيته وموضوعيته وتناغمه البديع من البيئة .

المبحث الرابع

هدف الطروحات الإسلامية

في مجال الحديث عن قابلية الطرح الإسلامي للتطبيق نتناول مسألة مهمة من مسائل عناق ذلك الطرح مع الواقع ، ألا وهي هدف الطروحات الإسلامية ، فالهدف يمثل حلقة الوصل التي تربط بين الطرح وبين الواقع ، لأن الطرح إنما جاء لتحقيق ذلك الهدف في الواقع الذي يمثل الوسط أو البيئة ، ولا يخرج هدف الطروحات الإسلامية عن هدفين على النحو التالي :

أولاً : تقويم الأفكار والسلوكات :

يتمثل أول أهداف الطروحات الإسلامية في تقويم الأفكار والسلوكات ، والتقويم يعني أن ثمة أفكاراً وسلوكات قائمة ولكنها غير قويمة ، ومعيار القوامة هو الاتفاق مع الأصول والقواعد المستقاة من المرجعيات الإسلامية .

وقوام وجود الإنسان في هذا الكون يشتمل على الفكر والسلوك ، وثمة علاقة وطيدة بين الفكر والسلوك ، وقد يتميز الإنسان عن الحيوان بالاتساق بين الفكر والسلوك ، فالفكر عند الإنسان يقود السلوك ، وكل من هذا وذاك تضبطه وتنظمه قواعد وأصول معلومة بالضرورة لكل مسلم ، والخروج على قواعد وأصول الفكر والسلوك يستلزم التدخل لتقويمهما وإعادتهما إلى وضعيهما الأمثل ، ويتم ذلك من خلال الطروحات التي يتمثل هدفها الأساسي في القيام بمهمة التصويب والتقويم ، ويمكن الإشارة إلى تقويم الأفكار والسلوكات عبر الطروحات من خلال الآتي :

❖ تقويم الأفكار :

الأفكار هي ما يستقر في عقل الإنسان من مدركات ومفاهيم للمحسوسات والمعنويات التي تحيط بالإنسان ، ويتفاعل ويتعامل معها وتبدأ بعناصر الوجود وموجودات الكون ، وتنتهي بالمعتقدات ، وتتبلور تلك المدركات والمفاهيم في العقل عبر رموز دلالية يتم التعبير عنها بالحركة أو الإشارة أو اللغة المنطوقة والمسموعة ، وكثير من المدركات والمفاهيم يرتبط بالمعتقد الديني حيث أن الأخير يضبط تلك المدركات والمفاهيم ويكيفها مع قيمه وغاياته ومقاصده ، وعلى الإنسان الذي يعتنق ذلك المعتقد أن يفقه ويدرك المحسوسات والمعنويات وفق قاموس ذلك المعتقد ، وما يفرضه من مضامين ودلالات لتلك المحسوسات والمعنويات ، فالمعتقد إذن يضع حدود الفكر وإطاره ومساره وما يستقر لديه من مضامين ودلالات لكافة المحسوسات وجميع المعنويات .

وعليه فإن أي خروج على مقتضيات المرجعيات الإسلامية فيما يتعلق بمضامين ودلالات المحسوسات والمعنويات يستلزم التدخل لإصلاح ما نتج عن ذلك الخروج وتقويم الأفكار وتصويبها والعودة بها إلى مرئيات تلك المرجعيات ومنطقها ومرادها .

إن تقويم الأفكار وتصويبها وإعادتها إلى نطاق المرجعيات الإسلامية وإطارها الذي يعبر عن منطقها في صياغة المفاهيم والدلالات الخاصة بالمحسوسات والمعنويات لا يتم إلا من خلال طروحات تهتم بهذا التقويم والتصويب وتستهدفهما .

وتقويم الأفكار وتصويبها بالشكل الموضح أعلاه إن هو إلا تقويم وتصويب للفكر والثقافة الإسلامية ، لأن الفكر والثقافة الإسلامية إن هما إلا منطق الإسلام في صياغة وتشكيل المفاهيم والدلالات الخاصة بالمحسوسات والمعنويات الموجودة في الكون ، فلكل محسوس

يدرك بالجوارح والحواس ولكل معنى يدرك بالعقل والذهن مدلوله ومضمونه في المرجعيات الإسلامية ، ولا ينبغي لفكر أي مسلم أن يحيد عنها .

ويعاني فكر المسلم في الوقت الراهن من انفصال شبه كامل عن الإطار الخاص بمنطق المرجعيات الإسلامية في تكييف مضامين ودلالات المحسوسات والمعنويات ، وسبب ذلك يكمن في اكتفاء ذلك الفكر بإطار آخر يملك منطقاً خاصاً بتكييف مضامين ودلالات المحسوسات والمعنويات ، وهو منطق عقلاني بشري صرف ، وقد أثر ذلك كثيراً على الفكر والثقافة الإسلامية ، حيث أدى إلى انحراف فكر المسلم وثقافته ، وليس من السهولة إصلاح ذلك الخلل إلا عبر طروحات جادة وجريئة وموضوعية تملك المقدرة على محاججة ودحض وتفنيد ذلك المنطق والتغلب عليه وإزاحته وإحلال منطق الإسلام .

ويتوزع فكر الإنسان على دوائر ثلاث : الدائرة الأولى ، وهي الأرقى والأعلى والأهم وعليها يتوقف وجود الإنسان وكيانه ومصيره ، وهي دائرة علاقته بخالقه ، وهي دائرة المعتقدات التي يتحدد في نطاقها مفاهيم ودلالات الإله ذاته وصفاته وتوحيده والإيمان به وعبادته وطاعته وأية أمور أخرى ترتبط بالإله الخالق ، الدائرة الثانية ، هي الدائرة التالية ، وهي دائرة علاقة الإنسان بذاته ، وهنا تتحدد مفاهيم ودلالات النفس أو الذات واحترامها وتوقيرها وإقناعها بالإيمان بالدائرة الأولى وإلزامها بالتقوى والإيمان والضمير وكافة الصفات والقيم الشخصية ، الدائرة الثالثة ، هي دائرة علاقة الإنسان بأقرانه وبالمخلوقات وبالموجودات في الكون ، وهنا يتبلور في العقل مفاهيم ومدركات ودلالات الأقران والمخلوقات والموجودات وعلة وجودها وكيفية التعامل معها واستثمار وجودها .

لقد صاغت المرجعيات الإسلامية مضامين ودلالات ذات خصوصية وتفرد للمفردات الخاصة بكل دائرة من الدوائر المذكورة ، وفرضت على المسلم الإيمان بها واعتناقها والخروج عليها يمثل مخالفة شرعية تستوجب التقويم والتصويب .

❖ تقويم السلوكات :

السلوك هو الشق الثاني في الكيان الإنساني ، وهو يعني التحرك الإرادي في اتجاه المقصود ، أو الحركة الإرادية الهادفة والمنظمة ، والسلوك المعتاد مترتب على الفكر ، وإذا تجرد من الفكر أصبح سلوكاً ارتجالياً أو غريزياً لم يعد يقوده الفكر بل أصبحت تقوده الغريزة المتصلة مباشرة بالجوارح والحواس ، والسلوك غير السوي هو الذي لا يقوده فكر رشيد ، ولا يتفق مع الفطرة السليمة ، ولا يخضع لمعايير وضوابط وتقوده الغريزة والبهيمية .

وكما في حالة الفكر ، هناك الفكر الذي يخرج عن النطق الخاص بمفاهيم ودلالات المرجعيات الإسلامية تجاه المحسوسات والمعنويات ، هناك كذلك فيما يتعلق بالسلوك ما لا يتفق مع الضوابط والمعايير التي صاغها الإسلام في ثنايا المرجعيات الإسلامية ، وهذا السلوك يحتاج إلى تقويم وتصويب من خلال طروحات تصاغ خصيصاً لذلك .

وما من شك في أن سلوكات الإنسان المبنية أو المؤسسة على فكر تجاه عناصر الوجود وموجودات الكون ينتج عن تفاعلها وتآلفها ما يعرف بالحضارة ، فقوام الحضارة هو ذلك السلوك ، أما نماذجها وأشكالها فتتجسد في مخرجات ونواتج ذلك التفاعل والتآلف ، ومن ثم فتقويم وتصويب السلوكات عبر الطروحات المبنية على الأصول والأسس المستنبطة من المرجعيات الإسلامية إن هو إلا تقويم وتصويب للحضارة وكذا لأشكالها ونماذجها .

إن سلوك الإنسان يتوزع في اتجاهات عديدة داخل المجتمع ، وكل اتجاه بمثابة مسار يرتبط بنشاط من نشاطات الحياة ، فهناك السلوك السياسي والسلوك الاقتصادي والسلوك الإداري .. إلخ ، وما من شك في أن النظام والتنظيم والإجراء يبنى ويؤسس على السلوك الإنساني .

كذلك يتوزع سلوك الإنسان على دوائر ثلاث : الدائرة الأولى ، دائرة العلاقة مع الإله الخالق ، وعلى هذه الدائرة تبدو التصرفات والسلوكات ذات الدلالة الشعائرية أو التعبدية مثل العبادات وما يلحق بها من نوافل وقربات وأعمال صالحات ، الدائرة الثانية ، دائرة العلاقة مع الذات ، وعلى هذه الدائرة تبدو علاقة الإنسان بذاته سلوكياً في مظهره وهندامه وسلوكاته القولية ،الدائرة الثالثة ، دائرة العلاقة مع الأقران وعناصر الوجود ومخلوقات وموجودات الكون وكافة العلاقات والسلوكات والتفاعلات على هذه الدائرة تكون مرتبطة ومقرونة بسلوكات الدائرة الأولى .

ثانياً : إنشاء الأفكار والسلوكات :

فيما سبق استهدفت الطروحات تقويم وتصويب الأفكار والسلوكات القائمة على أرض الواقع والمتفاعلة مع الإنسان في المجتمع والكون ، والآن ننتقل إلى الحديث عن هدف آخر للطروحات الإسلامية وهو المتمثل في إنشاء أو إيجاد أو إحداث الأفكار والسلوكات ، فكيف تنشئ الطروحات أو تحدث الأفكار والسلوكات ؟ ، هذا ما سوف نوضحه من خلال الآتي:

❖ إنشاء الأفكار :

كيف تنشئ الطروحات الأفكار وتحدثها على غير مثال سابق ؟ إن الإنشاء أو الإيجاد أو الإحداث يعني الابتكار والإبداع ، فكيف يتسنى للطروحات الإسلامية أن تقوم بذلك ؟ الطروحات الإسلامية تفرض أفكاراً ليس لها وجود على أرض الواقع فهي تنشئها إنشاءً من مزيج من المثالية والنموذجية الذي يرقى بفكر الإنسان ليصل إلى مستوى المعتقد القائم على عقيدة التوحيد ، وكل ذلك يصلح للتعامل مع المتغيرات والمستجدات ، فالتعامل مع تلك المتغيرات والمستجدات يكون بتقويم وتصويب الأفكار كما يكون كذلك بإيجاد وإحداث الأفكار .

ويعلم الكثيرون أن القرآن الكريم كتاب الله المعجز سيظل إلى يوم القيامة مصدراً للجديد من الأفكار والمبادئ والمثل والقيم التي تمكن المفكر الباحث من تخول المتغيرات والمستجدات بالمتابعة والاستيعاب والاحتواء ، ثم تزوده كذلك وتهيئ له الظروف والمكنات التي تجعله قادراً على ابتكار القيم والمبادئ والمثل والأفكار الجديدة التي لم يتوصل أو يعرفها رواد الفكر الوضعي الذين يقودون مجتمعاتهم ويصنعون الرأي فيها ، ولكن المهم في هذه الحالة أن يملك المفكر الباحث ملكة الغوص في كتاب الله العزيز وفهم وتدبر آياته ومعانيها ودلالاتها القريبة والبعيدة .

والفكرة في مجال الطروحات الإسلامية تُنشأ جديدة وغير مسبوقة في مواجهة المسلمين ، ثم في مواجهة غير المسلمين ، فالفكرة الجديدة في مواجهة المسلمين بدورها تتوزع إلى : فكرة جديدة مُنشأة أو مستحدثة في مواجهة المسلمين الموالين الملتزمين ، ثم فكرة جديدة مُنشأة أو مستحدثة في مواجهة المسلمين الأقل موالاة والأضعف التزاماً ، وكل من الفريقين يتلقى الفكرة بفهم واستيعاب خاص ينبع من التزامه وتعمقه في العقيدة .

أما الفكرة الجديدة غير المسبوقة في مواجهة غير المسلمين فتتوزع هي الأخرى إلى : فكرة جديدة في مواجهة غير المسلمين الذين على قدر من العلم والمعرفة والثقافة سواء الدينية أو الدنيوية ، ونخص منهم من لديهم فكرة ولو بسيطة وسطحية عن الإسلام ، وفكرة جديدة في مواجهة غير المسلمين الذين ليسوا على قدر يعتد به من العلم والمعرفة والثقافة وغير مطلعين على الإسلام ، والفكرة الجديدة في مجال الطرح الإسلامي عندما توجه إلى كل فصيل من الفصيلين اللذين تحدثنا عنهما أعلاه تحتاج إلى وسائل خاصة لإيصالها ، وإلى أساليب معينة لعرضها وبسطها .

وفي هذا السياق ينبغي التركيز والتفرقة بين أمور غاية في الأهمية تتعلق أساساً بالمجال الذي تنصرف إليه الفكرة المحدثة ، فالفكرة المحدثة لا ينبغي أن تقترب من العبادة بأي شكل من الأشكال ، ولا تمس النسك أو الشعيرة من قريب أو بعيد ، فهذه ثوابت ورواسخ ستبقى كما جاءت في المرجعيات الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فابتداع الأفكار وابتكار القيم والمبادئ والمثل إذن لا يكون إلا في أمور الدنيا ، فالبدعة لا ينبغي أن تمس العبادة ، ولا ضير في أن تكون في العادة ، فالإتباع في الدين أي في العبادة مفروض ، والابتداع في العادة أي في أمور الدنيا مرغوب .

❖ إنشاء السلوكات :

إذا كان ما سبق هو شأن الفكرة بجميع صورها عندما تُخلق أو تُنشأ مترتبة على الطروحات الإسلامية التي تبتدعها وتبتكرها ، فما شأن السلوكات ، هي تُخلق أو تُنشأ هي الأخرى بفعل الطروحات الإسلامية ؟ السلوك يُنشأ أو يُخلق مترتباً على الأفكار التي تُنشئها الطروحات الإسلامية ، وقد يُنشأ السلوك مستقلاً عن الأفكار حيث تخصص له طروحات ورؤى وآراء .

المبحث الخامس

إشكاليات تطبيق الطرح الإسلامي

في هذا المبحث نتناول أهم الإشكاليات التي تصادف تطبيق الطرح الإسلامي على أرض الواقع ونحاول تقديم تعريف لها ثم تبيان أهم أشكالها ونماذجها ثم استعراض طرق ووسائل معالجتها ، وذلك كما يلي :

أولاً : هل يمكن أن يستعصي الطرح على التطبيق :

نستعرض أول إشكاليات تطبيق الطرح الإسلامي بسؤال منطقي مفاده ، هل يمكن أن يستعصي الطرح الإسلامي على التطبيق ؟ إن قابلية الطرح الإسلامي للتطبيق ، وكذا تطبيقه فعلياً ، يقيمان الدليل على أن الطروحات واقعية وموضوعية ، ولديها القدرة على التحاور مع عناصر الوجود ثم مع المتغيرات والمستجدات ، وتملك الإمكانية أيضاً على التفاعل مع كل ما تذخر به البيئة من مفردات ، إلا أنه قد يحدث أن يتخلى الطرح الإسلامي عن سماته السابقة ، وعندئذ يبدو نظرياً صرفاً ، وقد يتجرد كذلك من الموضوعية تحت عوامل ومؤثرات عديدة ، فيبدو وقتئذ خال من العلمية وينقصه الأصولية والعقلانية ، وهكذا يظهر الطرح الإسلامي في مظهر مخالف للطرح الإسلامي النموذجي الذي سبق وأوضحنا خصائصه وسماته وماهيته وجوهره ، ويكون من الصعوبة بمكان قبول هذا الطرح أو تقديمه كنموذج للطروحات الإسلامية سواء للمسلمين أو لغير المسلمين ، كما يكون من الصعب كذلك فرضه على أرض الواقع ، لأن البيئة لن تقبله ، فهو لن يتفاعل معها ، أو يعانقها أو يذوب في ثناياها كما ينبغي أن يكون .

ثانياً : لماذا يستعصي الطرح الإسلامي على التطبيق ؟ :

لقد أفضى السؤال المطروح أعلاه إلى القول بإمكانية أن يستعصي الطرح الإسلامي على التطبيق في حالات بعينها وظروف بذاتها ، ويمكن أن يردف هذا السؤال بسؤال آخر مؤداه : لماذا يستعصي الطرح الإسلامي على التطبيق ؟ وهذا سؤال منطقي ، حيث يبدو من المتوجب على المفكر الباحث أن يبحث بإصرار وتصميم وجدية في أسباب استعصاء الطرح الإسلامي على التطبيق ، وسيكتشف أن تلك الأسباب عديدة ومتنوعة ، وسيضطر إلى تحليلها على النحو التالي :

❖ مشاكل المفكر الباحث :

أول العقبات أو التوعكات التي تصيب الطرح فتجعله غير قابل للتطبيق هي تلك الناجمة عن المفكر الباحث ، والمتعلقة بالإخفاق البحثي والفكري والمنهجي والتحليلي الذي يبدو في ثلاثة أشكال :

ـ الشكل الأول : العجز عن دراسة المرجعيات والتفقه فيها والتمكن منها ، وذلك لعدم التمكن من أدوات ووسائل البحث ، أو عدم تملك ملكة البحث في تلك المرجعيات .

ـ الشكل الثاني : القصور في فهم الإشكاليات المترتبة على المتغيرات والمستجدات والأبعاد المتغيرة في الإنسان ، وذلك لعدم التخصص .

ـ الشكل الثالث : الإخفاق في إجراء عملية المضاهاة بين الإشكاليات والقضايا المترتبة على المتغيرات والمستجدات وبين الأصول والقواعد المقابلة لها في المرجعيات ، وهذا الشكل مترتب على الشكلين الأول والثاني .

❖ مشاكل صياغة الطرح :

هذا الفصيل من المشاكل ذو طبيعة فنية حرفية منهجية تتعلق بصياغة الطرح أو الرؤية أو الرأي ، فالطرح بمثابة بناء فكري يبدأ باستعراض المتغيرات والمستجدات والإشكاليات المترتبة عليها ، ثم يردف ذلك الاستعراض ببسط الأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات ، وبعد ذلك تأتي عملية المضاهاة ، وهي عملية مناظرة يجريها المفكر الباحث بين المتغيرات والمستجدات والإشكاليات المترتبة عليها من جهة وبين الأصول والقواعد من جهة أخرى ، وبعد ذلك تأتي العملية الأخيرة ، وهي التي يقدم خلالها المفكر الباحث الأصول والقواعد كأطر عامة تستوعب الإشكاليات المترتبة على المتغيرات والمستجدات ونظرية كاملة توضح رأي الإسلام ووجهته في المسألة موضع الطرح .

❖ مشاكل البيئة :

كذلك قد تمثل البيئة حائلاً دون تطبيق الطروحات الإسلامية ، كأن لا تكون مؤهلة بالشكل الكافي لاستقبال الطروحات – وقد سبق لنا أن ناقشنا كيف تكون البيئة إحدى أهم مقومات تطبيق الطروحات الإسلامية – وعدم استعداد البيئة لاستقبال الطرح الإسلامي يعني أن تلك البيئة تعاني من المفردات والمكونات الغريبة التي لا تجعلها تتسم بالهوية الإسلامية .

❖ مشاكل التطبيق :

التطبيق بالنسبة للطرح الإسلامي يمثل إحدى أهم مراحله ، ومن ثم فهو يحتاج إلى إجراءات وتدابير عديدة تتواءم مع طبيعة ذلك الطرح ، فإذا كان الطرح في شكل منظومات فكرية نظرية ينتج عنها نظم متكاملة ، فإن تطبيق ذلك الطرح يحتاج إلى تدابير وإجراءات

خاصة بإقامة تلك النظم ، وتلك التدابير تبدأ بإزاحة الأنظمة القديمة ثم تطبيق الأنظمة الجديدة . والأخيرة بدورها تحتاج إلى خرائط تنظيمية وهياكل تنظيمية وتوصيفات وظيفية ، إلى آخر هذه العمليات الإعدادية ، وأية إعاقات لهذا التطبيق تؤدي إلى إيقافه وإعاقة تفعيل الطرح .

ثالثاً : معالجة عدم قابلية الطرح الإسلامي للتطبيق :

معالجة إشكالية عدم قابلية الطرح الإسلامي للتطبيق تستوجب البحث في تصحيح أوضاع المشاكل التي طرحناها في البند السابق ، وكل مشكلة من تلك المشاكل تستوجب معالجة خاصة ، ترتبط بطبيعة علاقتها بالطرح ، فمشكلة المفكر الباحث تعالج من خلال انتقاء العنصر البشري المدرب والمعد إعداداً جيداً ، أما مشكلة الصياغة فقد تكون أخف وطأة ، والتغلب عليها يتم من خلال توجيه العنصر البشري ، أما مشكلة البيئة ومشكلة التطبيق فيرتبطان ببعضهما ارتباطاً عضوياً يجعل من علاج أي منهما علاجاً للأخرى .